العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس

أبو القاسم درارجة : رئيس الفرقة*
جامعة الجزائر

مقدمـة :

الحياة الثقافيـة في أي عصر من العصور خـاضعـة إلى عـدة عوامل ، ومن بين هـذه العوامل الإزدهار الإقتصادي ، والإستقرار السياسي ؛ فـاذا كانت السيـاسـة غير واضحـة ، أو غير مستقرة والبلاد في حالة حرب بينهـا وبين جيرانهـا أو في حرب أهليـة نتيجـة حكام ضعفـاء ومستبـدين برأيهم فهي اذا غير مستقرة سياسياً واجتماعياً وبذلك لا يمكن أن تكون أرضـا خصبـة للانتـاج ، كما أن الوضع الإقتصادي له دخل وتأثير كبير في الإزدهار الثقـافي ، فـالشعب الجوعـان لا يفكر الا في مشكلاته اليوميـة ، وبـالضرورة يكون عـديم الانتـاج الفكري بشقيـه العلمي والترفهي أم الصنـاعي والـزراعي ، والمثـل الشـائـع يقـول : «العقـل السليم في الجسم السليم» . اذا فـالانتـاج الفكري والإزدهـار الحضـاري مرتبطـان بـالازدهـار الاقتصـادي ، وهـذا الأخير مرتبـط بـدوره بالاستقرار السيـاسي الفعلي الـذي لا تبعيـة فيـه ، ولاضغطـا عليـه ، والا كان شعبـا مقلـدا غير منتج .. لأنه تنقصه الطمأنينة والأمن سواء على نفسه أو على ماله ، والحضارة برمتها لها مقوماتها ولا يمكن أن تكون مقومات حضاريـة دون أن تتوافر لهـا الشروط المـذكورة آنفـاً ، وأن تكون تلك الحضارية نابعـة من الـداخل - أي ذات أصـالـة - وهـذا لا يمنع من أن تكون الأمـة التي تصبو إلى الرقي والرفـاهيـة على صلـة بـالحضـارة الموجودة في العـالم عن طريـق تبـادل الخبرات والتجارب العلمية أو غيرها وبمعنى أدق تبادل ثقافي دون أي ضغـط ولا حيف ، فـإذا كانت على هذا النمط تعتبر حضارة خاصة بأهلها لها مميزاتها وخصائصها . والمغرب الأوسط كغيره من بلـدان

(☆) رئيس فرقة بحث ، معهد الأدب العربي جامعة الجزائر .

العالم عرف حقبا مختلفة ، منها ما كانت مليئة بالحروب والفتن الخارجية والداخلية معا ، ومنها حقب سلم ورخاء وازدهار حضاري واستقرار سياسي ، والشيء الذي جعل المغرب الأوسط يتمتع بنوع من الحضارة والازدهار الثقافي – وان كان أقل بكثير من القروان وقرطبة ومراكش ، لأن هذه العواصم كانت مراكز الخلافة ، فموقع المغرب الأوسط الجغرافي الممتاز جعله يسيطر على أهم سبل التجارة البرية والبحرية معا ، وهو بمنزلة همزة وصل بين الشرق والغرب ، وبين الجنوب والشمال ، بالاضافة إلى تفاني أهلن في حماية ثرواته وحبهم للرحلة والمغامرة ، واذا نحن تصفحنا كتب الرحلات القديمة لانجد عالما أتى من المشرق ولم يمر بالمغرب الأوسط الا نادرا ليفرغ بضاعته الفكرية أو المادية أو كليهما ثم يستمر في رحلته ، كما لا نكاد نعثر على عالم أندلسي ذهب الى المشرق ولم يمر ببعض الموانىء أو المدن سواء في الشمال أو في الصحراء ليلقي محاضراته ويدلي بآرائه ويسجل ملاحظاته ثم يمر وكثيراً ما تحدثنا المصادر عن العلماء الذين استقروا به رغبة منهم في كرم أهله ، وطيب هوائه ، ووفرة منتوجاته ، فالمغرب الأوسط كان بمنزلة الجسر الرئيسي الذي تعبر عليه التيارات الفكرية المختلفة في فروعها والموحودة في أصولها ، ولعل اسمه بدل على مكانته ، فهو الوسط ولا يمكن لأي تيار ثقافي يمر من المشرق إلى المغرب أو العكس دون أن يترك صداه بالوسط .

فالدارس لتاريخ الثقافة في المغرب الأوسط يلاحظ اسهام بعض المثقفين من المغرب الأوسط ابتداء من عهد عبد الرحمان الناصر أو قبله بقليل إلى نهاية الخلافة الأموية ، وبمجيء عصر الطوائف تبدأ الرحلة العكسية ، ثم تأتي حقبة الموحدين وبعدهم حقبة الحفصيين والزيانيين التي نرى فيها بوضوح نشاط واسهام أهل المغرب الأوسط في الثقافة العربية الإسلامية ، بحيث قلبت الموازين فأهل المغرب الأوسط قبل مجيء الموحدين بقليل كانوا يقومون برحلات إلى المشرق أو الأندلس بهدف الدراسة ، أما في عصر الموحدين فإنهم يذهبون إلى الأندلس أو المشرق ليعطوا ما عندهم من علم ويأخذوا ما عند الآخرين الشيء الذي يطلق عليه اليوم بالتبادل الثقافي .

فعملية تبادل الرحلات بين المغرب الأوسط والأندلس لها أبعادها وظروفها وليس هناك مجال لحصرها في هذا البحث ، لأن بحثنا هذا له اطاره الخاص بحيث نعالج فيه عصر ملوك الطوائف بالأندس وعصر الحماديين بالمغرب الأوسط .

اذا فبعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة ومجيء ملوك الطوائف الذين بمجيئهم تغيرت خارطة الأندلس السياسية والثقافية والاقتصادية أيضاً ، في هذا الجو المشحون بالمخاوف بدأت رحلات علمية وتجارية وزيارات عائلية ذات طابع يختلف اختلافاً بينا عما كانت عليه من قبل ، فالأندلس لم تعد القوية اقتصادياً ولا عسكرياً مثل ما كانت عليه في الماضي ، لقد بدأ

الكثير من علماء الأندلس ينتقلون إلى المغرب الأوسط ، منهم المار إلى بلاد المشرق ، ومنهم الزائر ، ومنهم الراغب في الاستقرار نظراً للظروف والملابسات والتناحر الذي كان سائداً في الأندلس نتيجة التنافس على الزعامة - بروح قبلية ضيقة - نظراً لكل هذا اختارت جماعة من أكبر مثقفي الأندلس - سواء خرجت بارادتها أو أجبرت على الخروج اجباراً - أن تشُدَّ الرحال إلى المغرب الأوسط ، ولم تختر الاقامة بالمغرب الأقصى ولا افريقية (تونس) لأن الأول فيه صراع مرير بين الأدارسة ، وبقايا حلفاء الأمويين ، والثاني تحت حكم البادسيين الزيريين حلفاء الفاطميين الشيعيين المذهب .

لهذا اختار بعض علماء الأندلس الاستقرار بالمغرب الأوسط ، ومن الذين قدموا إلى المغرب الأوسط واستقروا به ردحاً من الزمن ، أحمد بن عبد اللّه بن ذكوان المكنى بأبي لعباس قاضي قضاة الأندلس[1] . قلده محمد بن أبي عامر قضاء الجماعة يوم الأربعاء 14 محرم عام 392 - 1001م . وقد كان قبل هذا التاريخ قاضياً بفحص البلوط وفي سنة 394م أضيفت له خطبة الصلاة بقرطبة مكان ابن شرف وبقي فيها شهوراً ثم تقلد منصب القضاء مكانه ابن فطيس أبو المطرف وذلك يوم الخمس 3 ذي الحجة من نفس السنة ، وأعيد مرة ثانية لممارسة الوظيفتين السالفتين الذكر حتى أن اقالة هشام المؤيد بايعاز من قائده واضح الصقلي يوم الخميس 5 جمادى الأول من عام 1099/401م وامتحن بحجة أنه مال إلى البرابرة ، والواقع إنه كان يريد أن يصلح بين هشام وأهل المغرب لاطفاء الفتنة ، ولكن كان جزاءه النفي هو وعائلته الى المرية أولا ثم الى وهران ، وفي هذه المدينة بقى ابن ذكوان مدة من الزمن لم تحددها المصادر التي هي بحوزتنا ، إلى أن قتل واضح الصقلي ، وبموته عاد القاضي من منفاه إلى قرطبة ، والذي يهمنا هنا هو وجود ابن ذكوان قاضي قضاة الأندلس وخطيبها بوهران ، وبتهمة ميله الى المغاربة ، ووجود هذه الشخصية التي يقول فيها ابن بشكوال في صلته : «وهو عظيم أهل الأندلس قاطبة ، وأعلمهم محلاً ، وأوفرهم جاهاً» اذاً اقامته بالمغرب الأوسط لها آثارها الطيبة في أهل المغرب الأوسط ، فبدلاً من أن يشدوا الرحال الى قرطبة لأخذ العلم عن هذا العالم الجليل جاءهم هو إلى وطنهم فالتفت جماعة من طلاب العلم حوله وأخذت ما سمحت به الظروف في تلك الحقبة . ورغم اهمال المصادر المدة التي مكث فيها هذا القاضي الجليل بوهران فإننا لا نستبعد أن يكون قد تتلمذ عنه الكثير من الطلبة في المغرب الأوسط ؛ ولو بقي على قيد الحياة لاجتاز إليه الكثير من الذين لم يسعفهم الحظ للأخذ عنه بوهران ، لكن الموت قد خطفه بعد عودته بسنوات قليلة ، حيث توفي يوم الأحد 21 رجب من عام 413 - 1023م في عهد الخليفة يحي بن علي بن حمود وصلى عليه أخوه أبا حاتم[2] .

وفي نفس الفترة نزل عالم آخر من قرطبة ببجاية ، وهذا العالم هو عبد اللّه ابن عبيد اللّه بن عبد العزيز المُعَيْطي[3] الذي عينه مجاهد العامري صاحب دانيا Denia وجزيرتي مايوركا ويابسة خليفة ولقبه بأمير المؤمنين المستنصر بالله ، في شهر جمادى الثاني من عام 1102/405م ، بغية توحيد الصفوف مثل ما كانت عليه الأندلس في عهد العامرين ، وفعلاً بدأ المعطي عمله كخليفة على دانية والجزيرتين المذكورتين ، وضربت السكة باسمه ، وبعد خمسة أشهر على تعيينه تحول من دانية رفقة مجاهد العامري الى جزيرة مايوركا ليشرف على الأسطول البحري الذي أعده مجاهد العامري لغزو جزيرة سردينية وافتكاكها من أيد الصليبيين ، وفي الوقت نفسه كسب شريعة الخلافة واعطاء درس للأعداء على أن الأندلس بخير وأسطولها مازال قويا ومتماسكا وفعلا خرج الأسطول في اتجاه جزيرة سردينيا Sirdinia ففتحها وغنم غنائم معتبرة ، وأقام بها سلطة محلية وبقي هناك مجاهد العامري مدة يشرف على التحصينات اللازمة للمدنية ، لكن الأخبار التي كانت تصله من جزيرة مايوركا عن الخليفة الجديد تقول : إنه لم يقم بالعدل بين الرعية ، وأن الروح القبلية بدأت تظهر من جديد في الجزيرة ، والخليفة بدأ يهيء الأرضية للاستلاء الفعلى على السلطة وتوقيف مجاهد قائد الجيش بعد عودته ، بعد هذه الأخبار التي سمعها مجاهد العامري قرر العودة إلى مايوركا وأول عمل قام به هو عزل الخليفة ونفيه الى بلاد كتامة – حسب بعض المصادر – والبعض منها تقول نفاه الى بجاية ، ومهما يكن فإنه نفاه إلى مملكة الحماديين وتؤكد أغلب المصادر بأن المعيطي تفرغ إلى التدريس ببجاية طوال اقامته بها حتى توفي بها سنة 432 – 1039م وهي فترة طويلة نسبيا تمتد من أواخر سنة 405 – 432هـ ، واذا شحت المصادر علينا بذكر الذين تتلمذوا عنه بالمغرب الأوسط ، واكتفت بأنه تفرغ للتدريس فمعنى ذلك أنه درس أجيالاً وناظر بعض علماء بجاية ، وهي أدلة واضحة على تبادل المعلومات والخبرات بين علماء بجاية والأندلس .

وفي آخر عصر ملوك الطوائف نزل عز الدولة عبد الله بن المعتصم محمد ابن صمادح التحيبي المكنى بأبي مروان ملك المرية هو وعائلته[4] بجاية نظرا للعلاقة المتينة التي كانت تربط أباه بالمنصور الحمادي ملك بجاية ، تنفيذاً لوصية أبيه المعتصم قبل موته (في الوقت الذي كان فيه ابن غانية قائد الجيوش المرابطية بالأندلس يتأهب لخلع ملوك الطوائف) ، بأن يعتصم بالقصبة حتى اذا رأى خلع محمد بن عباد ملك الشبيلية حينئذ يغادر المرية في اتجاه بجاية ؛ وفعلا تم الاستلاء على اشبيلة وأطيح بابن عباد ثم زحف الجيش المرابطي لمحاصرة مملكة الزيريين بغرناطة ، ففي هذه الأثناء كان عز الدولة يشحن ثلاث سفن بالذخائر ، والأموال للخروج من المرية ، ولقد ادعى ابن صمادح وعائلته بأنه يريد ملاقاة المرابطين بمالقة قبل مداهمته ، ثم خرج

ليلا وأفراد عائلته في شهر رمضان من عام 484هـ أكتوبر 1901م موليا وجهه شطر بجاية وعند وصوله اليها رحب به ملوك بن حماد وأنزلوه عاصمتهم وأكرموه كواحد من أبناء أكابر الأندلس ، وبعد مدة من الزمن منحوه ضياعا بمدينة تدلس ، كما منحوا أخاه الواثق ضياعا أخرى ، وحسب بعض المصادر فإن الأمير الصمادحي أحس بالخمول والعزلة ، وكان يتذكر أيام عزه عندما كان ملكاً .

واذا نحن حللنا هذا الخمول الذي أصاب الأمير الشاب وحاولنا أن نعرف الأسباب فإننا نرجح الأسباب التالية :

أ – أنه قدم بجاية ليلتمس العون المادي والمعنوي من أصدقاء والده لاعادة ملكه المسلوب .

ب – أنه يريد أن يشارك في السياسة وأن تكون له أهمية كبرى في بجاية ليس كضيف فحسب بل كملك أندلسي . لكن هذا لم يكن ، فالسلطة الحمادية لم ترد أن تخلق مشكلات بينها وبين جيرانها المرابطين لاعادة ملك صغير مثل عز الدولة ، ولا هي أيضا تريد اشراكه في سياستها ، بل اعتبرته ضيفاً عندها وقدمت له مساعدة حسب مقتضى الحال ، لكن يبدو أن الأمير ابن الأمير الذي تربى تربية الملوك المسرفين ، بحيث سمحت له الظروف أن يشارك في عدة فنون – ما عدا فن القتال – لقد كان فارساً من فرسان ملوك الأندلس ، وشاعراً وأديباً ، شارك في مجالس اللهوى والصيد والخمر رغم حداثة سنه .

وحسب بعض المصادر فإن الأمير نظم قصائد شعر في اقامته بالمغرب الأوسط يشكو فيها من صعوبة الحياة وقساوتها ، ويريد من خلالها جلب عطف الملوك الحماديين لمايعانيه من عزلة ، وعندما لم يحصل على غرضه بدأ ينظم قصائد أخرى يمزج فيها قضاء الله وقدره بتخاذل الحماديين وغيرهم على نصرته واعادة ملكه الضائع . فهو يحمد الله على أن مصيبته أقل بكثير من مصيبة ملوك الطوائف الآخرين ، وعلى أن الله كتب له أن يعيش في أرض غير أرضه وبين قوم غير قومه ، الشيء الذي جعله يعيش في خمول ونسى ركوب الخيل ويشتاق إلى سماع قصيدة شعرية تخفف عنه آلامه ، كما يعبر عن مكانته وشرفه ومستواه الثقافي ، وأنه كان آمراً فأصبح مأموراً من أناس ليسو من جنسه ولا من نمطه ، ويصرح بأنه أصابه احباط نفسي بحيث لا يستطع أن يفعل أبي شيء في الميدان السياسي ، وأن قضاء الله وقدره جعله مثل الأسد الذي أصبح في قفص وما يترجاه الا الموت [5] فيقول :

لك الحمد بعد الملك أصبح خاملاً ... بأرض اغتراب لا أمرّ ولا أُحليّ
وقد أصدأت فيها الهوادة منصلي ... كما نسيت ركض الجياد بها رجلي
ولا مسمعي يصغى لنغمه شاعر ... وكفي لا تمتد يوماً إلى بذل

وحسب بعض المصادر فإن هذه القصائد الشعرية التي نظمها ابن صمادح لم تخفف من آلامه ولم تستعطف ملوك بني حماد ولا الطبقة المثقفة بل زادت في عزلته ، وهذا ما نستنتجه من الحوار الذي دار بينه وبين الشاعر ابن اللبانة بتدلس[6] .

وحسب رواية أحمد المقربي وقبله ابن سعيد ، فإن الأمير الصمادحي لما زاره ابن اللبانة ببجاية جاءه أحد المثقفين من نفس المدينة وطلب منه أن يحدد له لقاء مع الأمير بغية المحادثة ، لكن الأمير امتنع عن اللقاء وقدم اعذاراً لشاعره ليبلغها بدوره إلى طالب اللقاء . ومن بين هذه الأعذار أنه لا يريد أن يخوض في أمور مضت قد تعيده الى أحزانه وتذكره بأترابه وخلانه ، كما أنه ليس لديه ما يقدمه من هدايا لهذا الزائر تكون في مقام ملك أندلسي مثله ، وأن هذا الزائر ليس مثلك - يقصد ابن اللبانة - «فأنت بالنسبة الي مثل اختلاط دمائنا بلحومنا ، أو كالخمر الممزوج بالماء» ومهما يكن من أمر فإن مثل هذه الاقامة الطويلة للأمير ابنصمادح بتدلس وزيارة أبرز شعراء الأندلس في تلك الحقبة ستترك آثارها الطيبة في الوسط المغرب (الأوسط) . وسنلقي الأضواء أكثر لتكشف لنا بعض الجوانب الايجابية عندما نتعرض لزيارة ابن اللبانة للأمير الصمادحي ، ولمحمد بن لب المرسي الشاعر الذي زاره هو الآخر في نفس الفترة التي كان بها ابن اللبانة .

ونعود إلى ذكر بعض علماء الأندلس الذين استقروا بالمغرب الأوسط لمحض ارادتهم ففي بداية عصر ملوك الطوائف حل بمدن المغرب الأوسط عدد من العلماء ذوي اختصاصات مختلفة ومن مدن أندلسية مختلفة أيضاً ، فهذا عمر بن عبيد الله بن زاهر المكنى بأبي حفص القرطبي المولد والنشأة والأستاذ البارز بقرطبة فهو من شيوخ عبد المالك الطبني [7] ومن قرطبة انتقل إلى سبتة التي بقي بها مدة زمنية لم تحددها المصادر ومن هناك ذهب الى المغرب الأوسط ، لكننا نجهل الطريق الذي سلكه الى بونة حيث نزل ضيفا على أبي عبد المالك مروان البوني[8] ردحا من الزمن يقوم بنشاطات ثقافية حتى توفي بالمدينة المذكورة أعلاه سنة 1048/440 .

وهناك عالم آخر من قرطبة هاجر الى المغرب الأوسط واستقر به ، وهذا العالم هو أحمد بن خصين بن أحمد الأنصاري[9] الذي ولد بقرطبة في أواخر القرن الرابع الهجري ودرس بالأندلس وبعد تحصليه سافر الى القيروان لأخذ العلم عن علمائها ثم عاد إلى بلاده الأندلس ورغم أننا لم نحصل على معلومات كافية - تحدد لنا تاريخ أسفاره واقامته بالقيروان والأسباب التي دفعت بعلماء قرطبة الى الهجرة - فاننا نستنتج من تاريخ تلك الحقبة الزمنية التي مرت بها قرطبة والتي أدت الى تفريق الجماعة بأن دافع الهجرة كان سياسيا ، بالدرجة الأولى ، وان تلك الفتنة العمياء مست علماء قرطبة قبل غيرهم ، كما أننا نعتبر هؤلاء القرطبيين الذين حلوا بمدن المغرب

الأوسط أسهموا اسهاماً فعالاً في اثراء الثقافة بالمغرب الأوسط ، وذللوا من تلك الصعوبات التي كانت تقف عائقا أمام طلاب العلم المغاربة . ودليلنا على ذلك بقاء الشيخين المذكورين آنفاً بمدينة العناب حتى توفيا بها .

ولنعود الى أحمد القرطبي ، ودائماً حسب المصادر ، فإن الرجل بعد عودته إلى الأندلس والبقاء بها مدة لا نعلمها ، قرر الهجرة النهائية إلى المغرب الأوسط ، وفعلاً سافر وحط الرحال بقلعة بني حماد وتفرغ بها للتدريس حتى أن جاء أجله سنة 1058/450م . ولقد تتابعت هجرة العلماء الأندلسيين إلى المغرب الأوسط طوال عصر ملوك الطوائف ، فهذا الشاعر الداني محمد بن عيس المكنى بابي بكر ، والمعروف باسم أمه ابن اللبانة[10] . الذي ذاع صيته وكبر شأنه سواء في الأندلس أم خارجها ، لقد كان ابن اللبانة شعلة منذ نعومة أظافره في الشعر والموشحات والأزجال بصفة خاصة والأدب بصفة أعم ، بحيث سمحت له ثقافته بمخالطة الأكابر وأبناء الملوك بل الملوك أنفسهم ،، ونال شهرة عريضة .. لقد استغل ذكاءه ووجهه توجيها صحيحاً ، فظل بلبلاً صادحاً يطرب الناس بنغماته بحيث أنه بدأ حياته الشعرية بمدينة دانية ثم اتصل في سن مبكرة بمحمد بن عباد ملك اشبيلية فمدحه بقصائد كثيرة ومتنوعة ، خلدت لنا تلك الأسمار والملتقيات الأدبية سواء التي كانت تحي بالقصور أم المنتزهات والحدائق المنتشرة على ضفاف الوادي الكبير ، أم تلك الجولات التي يقومون بها خارج اشبيلية بهدف الصيد على أجود الخيول العربية وتزّينهم البازات الشهب ... بين أشجار الزيتون والبرتقال والليمون ، وتفوح منها روائح النرد وشذى الورد ! في جو ملىء بالتسامح بحيث جعلت ابن اللبانة يبارز في ميدان الشعر مع المعتمد بن عباد الند للند ، وكان الملك الجواد يخلع عليه الأموال الطائلة ، ولم يكتف ابن اللبانة الطموح بتلك العلاقة التي تربطه بالنخبة المثقفة الاشبيلية والقرطبية التي كان يترأسها وينظمها الملك الشاعر محمد بن عباد ، بل اتصل بملك آخر من أجود ملوك الطوائف ، وهذا الملك هو عز الدولة واتصل بأخيه الواثق وشارك ابن اللبانة مشاركة فعلية في ذلك النشاط الثقافي حيث كان يشرف على تنشيط الملتقيات والندوات الأدبية في بلاد الملك الصُمادحي في قصور المرية ومنتزهاتها بحيث تركوا لنا وصفاً دقيقاً وهامًّا لتلك القصور والحدائق والأودية يمكن أن تكون مرآة صادقة لتلك الحقبة سواء من الناحية الثقافية أم الاقتصادية والاجتماعية . لكن تقلبات الزمن جعلت من تلك الأفراح أحزاناً - بالنسبة الى صانعيها - ومصدراً غنياً للدارسين ، ولعلى التركيبة الأولى للآداب والفنون التي تطورت في عصر الطوائف لم تبن على أسس صحيحة ، حيث أنها اتسمت بالعرقية والعنصرية القبلية الضيقة والتفرقة ، والبذخ والإسراف في كل شيء هذه العوامل جعلت انتاج هذه الحقبة يضحل شيئاً فشيئاً ثم

يتوّحد بمجرد زوال الانشقاق ووصول الوحدة السياسية والجغرافية الى الأندلس ، لكن عملية ازالة التفرقة وجدت صعبات جمة ، لأن توحيد الخطاب السياسي يحتاج الى توحيد الفكر ، فإذا كانت حقبة ملوك الطوائف طورت الفكر والثقافة الأندلسية ، وهي عملية اجابية فإنها من ناحية أخرى عطلت التطور العلمي الشامل للأمة العربية الإسلامية وسمحت لأقوام آخرين أن يضعوا ألغاما في طريقها ويقوضوا مقوماتها الأخلاقية ، وهذا ما جعل بعد جمع شمل الأندلس تحت لواء المرابطين يستهلك طاقات كبيرة في توحيد الفكر الأندلسي ، ولربما لم تأت الثمار الا بمجيء الموحدين . لقد اغتر ملوك الطوائف بذكائهم وشعورهم بالتفوق في كل ما بناه الأوائل على أرض الأندلس ، فتقاسموا تركة الأجيال السالفة دون أدنى اكتراث .. ولم يلتقوا الى الأرض التي بدأت تسحب من تحت أقدامهم . ولكن لحسن حظ الأندلس كان هناك من يلاحظ من بعيد زوال تلك الحضارة العتيدة نتيجة ذلك التهريج والبذخ واللامبالاة ، فأوقف المعتمد عند حده وختم بابن صمادح ، فالغيت تلك النوادي والملتقيات لفترة وعوضت بملتقيات فقهية ، وهذه الملتقيات الجديدة ليس للشاعر ابن اللبانة وأصنافه دخل ، فكدست بضاعته لحين ، وقلت موارده المادية ، وانحطت معنوياته ، وبدأ يدور في حلقة مفرغة عله يجد من يعيد له تلك الملتقيات فلم يضفر بذلك . ولعل ابن اللبانة كان قد ختم تلك الحلقة من الملتقيات التي تعتمد على ثلاث عناصر - ان صح التعبير - الموشحات والأزجال التي تشارك فيها المرأة مثل الرجل ، والعود بأنغامه الساحرة ، وبنت العنب التي تفرق بين الروح والجسد ، اذا فابن اللبانة زيارة لزميله ونديمه ابن صمادح بعد خلع المعتمد بن عباد ، لكن هذه الزيارة الأخيرة لم تكن كسابقاتها ، لأن والد الأمير كان يحتضر ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالجيش المرابطي على مشارف غرناطة والمرية هدفه الأخير ، وهكذا اختتمت مسيرة ملوك الطوائف ، ولعلى ابن رشيق المسيلي القرواني قد وصف الأندلس وملوكه أحسن وصف حيث قال :

مِمَّا يزهدني في أرض أندلس أسماء معتصم فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

لقد بقى ندماء ملوك الطوائف يعانون من الوحدة وقلة الموارد المالية لهذه الأسباب كلها بدأ ابن اللبانة يتجول في أنحاء الأندلس بحثاً عن جو ثقافي يعيد له اعتباره ، وينسبه من تلك الملتقيات التي جمعته بخلانه ، ولما يئس من أن يجد جواً مماثلاً قرر الخروج من شبه جزيرة الأندلس ، وفعلاً قد اتجه أولاً الى جزيرة مايوركا وقابل مجاهد العامري صاحب دانيا ووزيره أبا القاسم الذين قدما له ما يلزمه للسفر إلى المغرب ، ولقد كان ابن اللبانة طوال المدة التي مكث فيها بجزيرة مايوركا قلقاً . يتذكر تلك المساجلات الشعرية التي كانت بينه وبين ابن

صمادح وأبرز شعراء وأدباء شرق الأندلس في قصور بني صمادح على شواطىء المتوسط بمدينة المرية والتي كان هو رائدها ومنشطها دون منازع ، بحيث اعترف له الجميع بالسبق في الشعر بصفة عامة والموشحات بصفة خاصة ولما كان ابن اللبانة من أكابر الأندلس الذين نذروا حياتهم للثقافة فإنه لم يفعل مثل ما فعل بعض الشعراء المتكسبين ، أو ما يطلق عليهم شعراء القصور يمدحون ملوكاً عندما يكونون في هرم السلطة ، ويذمونهم أو يتناسونهم عندما تتقلب أوضاعهم . فإبن اللبانة اعتبر كل ذلك الكرم في الضيافة والترحيب والعطاء الجزيل ، والجو الثقافي الذي وفره له المكان اعترافاً بالجميل ورد الخير السابق بمثله ، ومن أجل هذا نراه يجمع ما سمحت له به ظروفه المادية من هدايا متواضعة رمزية لخلانه وأبناء وطنه الذين قاسمها نشاطها في شطر كبير من حياتها الأدبية ثم يشد الرحال الى أوطان لم تطأها قدماه من قبل ، وفي ظروف صعبة للغاية ، وكل ذلك من أجل اعادة الروابط وفك العزلة واعادة الذكريات لأعز صديقيه اللذين أسهما في ابرازه كرائد للشعر في زمانه !!، وفعلاً قد خرج ابن اللبانة من جزيرة مايوركا تاركا الأندلس من ورائه موليا وجهه شطر برّ العدوة ، فحل بأغمات وطلب من السلطات المرابطية أن لا تحرمه من زيادة أعز أصدقائه وولي نعمته ، ولقد قدرت السلطات المرابطية مكانته ومدى تعلقه بابن وطنه ، فلبت رغبته لأن يزور ملك اشبيلية وشاعرها وفارسها المغوار ، وعند اللقاء اِغْرَوْرقت عيناه لما رأى الحالة التي كان عليها المعتمد بسجنه فقدم له هدايا متواضعة ليشتم منها رائحة وطنه ومكان نشأته والهامه ، محاولاً بذلك التخفيف عنه من همه وغمه ، وفقدان أكباده وخلانه مقيما في سجن أغمات الواقع في شبه صحراء قاحلة اذا هي قرنت بتلك الجنة الوارفة الظلال ، الوفيرة الثمار والأزهار !! الى ذكريات الماضي الجميل ، لكن ابن عباد قد وهن عظمه ويئس من العودة الى وكره والالتفاتة إلى ماضي مضى وانقطع ، واكتفى بعزاء نفسه واطمئنانها بزيارة أعز صديق لم يصب بمرض فقدان الذاكرة بل يراه يضحي بما له ونفسه لادخال السرور عليه ، وقد مكث الشاعر أياما بأغمات وقام بزيارات متعددة للمعتمد ولأبنائه ، وعندما أراد أن يودعه قدم له ابن عباد هدية متواضعة وشكره على الجهد الذي بذله في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها الأندلس ، ومما زاد في حزن ابن اللبانة أن ابن المعتمد شرف الدولة كلف نفسه نيابة عن والده وقدم هذه الهدية إليه ، لكن ابن اللبانة لم يستطع تقبل تلك الهدية شفقة منه على صديقه ، فرفضها وألقى قصيدة شعرية على البحر الوافي أظهر من خلالها انشغاله وحزنه على ما ألم بصديقهُ ، ثم عاد الى الأندلس واستقر بالمرية ملازماً للتدريس . وفي سنة 1093/486م غادر المرية واتجه الى بجاية حيث التقى بالأمير الصمادحي ، وبقي هناك مدة من الزمن لم تحددها المصادر التي هي بين أيدينا ،

ثم غادر بجاية واتجه نحو أغمات ، لكن يبدو أنه مر في طريقه بتلمسان ثم حل بأغمات وقد كان المعتمد قد توفي سنة 1094/487م لأن المصادر تقول أن أبنه بقصيرة على البحر البسيط ، وقد يكون على علم بموته وانما أراد أن يقدم عزاءه الى أبناء الفقيد ويزور قبره . ومن هناك قفل الى جزيرة مايوركا فوصلها في شهر شعبان من عام 1095/489م وقابل مجاهد العامري ووزيره أبا القاسم ومدحه الشاعر بقصيدة لكن أن تلك المودة والاحترام المتبادلان بين الأمير والشاعر لم تدم طويلاً ، بحيث انقلبت إلى عداوة ، وألقى القبض على ابن اللبانة وأجبر على الاقامة بالجزيرة ، وحاول أن يلتمس العفو من الأمير فنظم قصيدة على البحر المتقارب يمدح فيها الأمير ووزيره فلم يفلح ثم نظم قصيدة ثانية على البر الطويل ، ووجهها إليهما فلم يجد آذانا صاغية ولا قلوباً رقيقة تعطف عليه وتطلق سراحه فغلب عليه اليأس من استعطافهما وبدأ يفكر في الفرار ، فتم له ذلك فنزل ببجاية وقابل ملكها ومدحه ، وشكى له مما أصابه في مايوركا ، ولكن المصادر لم تذكر تاريخ هروبه من مايوركا ، فتكتفي بأنه مدح الناصر الحمادي سنة 1105/498م ويمكن أن تكون هذه المرة الثالثة التي يقوم فيها ابن اللبانة بزيارته الى بجاية وتدلس ومهما يكن فإن ابن اللبانة زار مرات عديدة بجاية وتعرف على ملوكها ومثقفيها ، كما زار تدلس وتلمسان ، ومدح أميرها أيضاً ، وتخبرنا بعض المصادر أنه لقى بتلمسان شاعراً من شعرائها يدعى علي بن الزيتوني[11] وابراهيم الهازي[12] وحسب بعض المصادر فإن الموشحات دخلت المغرب الأوسط عن طريق ابن اللبانة ، ومن بين هذه المصادر القاضي الغبريني في عنوانه[13] حيث يذكر أبا الطاهر عمارة الشريف الحسيني الذي اشتهر بالتوشيح هو وابنته عائشة .

وفي نفس الفترة قدم بجاية محمد بن لب المكنى بأبي عبد اللّه المرسى وهو من مشاهير شعراء شرق الأندلس في تلك الحقبة ، ومن أصدقاء ابن اللبانة[14] . وحسب بعض المصادر فإن ابن لب دخل بجاية سنة 1105/498م ومدح الملك الحمادي العزيز والتقى بعدة شخصيات مثقفة هامة بعاصمة المغرب الأوسط ، وقد تكون قصيدته التي مدح بها الملك الحمادي التقطها الطلبة ونفذها الأساتذة ، ثم تخبرنا بعض المصادر بأنه نظم ببجاية قصيدة أخرى على البحر الطويل يشكو فيها من الركود الثقافي في تلك الحقبة ، واذا ثبت أن هذه القصيدة تناول الشاعر فيها الجانب الثقافي فإنها تعتبر من أهم القصائد التي تلقى أضواء كثيفة على النشاط الثقافي ببجاية عصرئذ .

واذا كان محمد بن لبّ قام بهذه الزيارة في التاريخ المذكور أعلاه ، فانه قدم بجاية مع ابن اللبانة الذي كان في نفس السنة ببجاية ومدح هو الآخر الملك ٱلحَمَّادِي بقصيدة . ومن المحتمل

أيضاً أنه زار مدينة تدلس وتقابل مع الأمير الصمادحي المقيم بهذه المدينة كما مر معنا وحجتنا في ذلك هو وجود ابن لبّ بمدينة الجزائر وكتب منها الى وزير الملك الحمادي[15] .

وبناء على هذه المعلومات حول قدوم علماء أندلسيين أجلاء اخترقت شهرتهم الآفاق ، فاننا نستطيع أن نقول ان عصر ملوك الطوائف كان وبالاً على الأندلس وكان خيراً وبركة على المغرب الأسط ، بحيث انتقلت مدرسة قرطبة للحديث ، والفقه الى بونة ، وانتقلت مدرسة الشعر والموشحات الى بجاية وبالضرورة أن تتركا المدرستان آثارهما الطيبة في الأوساط الثقفية ، وأن تخلق جيلاً من الوشاحين مثل ما مر معنا ، وتطور الموسيقى بالمغرب الأوسط كما سنرى في خاتمة هذا البحث .

وهناك شخصية أخرى من بلنسيته مختصة في الفقه والحديث ولها ضلع في الأدب أيضاً ، وتمثل ذلك العصر بكل أبعاده السياسي والثقافي ، وهي شخصية أحمد ابن طاهر بن علي المكنى ، بأبي العباس[16] ، كان أجداده الأوائل قد استقروا بقلعة الأشراف الواقعة شرق مدينة بلنسية لكن جده انتقل الى دانية التي ولد بها عالمنا يوم السبت على الساعة الرابعة – دون ذكر الرابعة صباحاً أم مساء – في 17 شوال من عام 467/يناير 1075م وبتلك المدينة زاول دراسته الأولى ثم انتقل الى مدينة بلنسية فدرس بها زماناً لم تحدده المصادر ، ثم انتقل الى مدينة المرية التي من الممكن أنه مكث بها زمناً حتى أن أطيح بالأمير الصمادحي فغادرها أحمد ، لكن ليس لدينا معلومات دقيقة تحدد لنا المدن التي انتقل إليها ولا الأسباب التي جعلته يغادرها ، ومن المرجح أن الرجل لم ينسجم مع النظام الجديد ، بحيث تقول المصادر أنه انتقل الى قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط ، والتزمت الصمت حول الطريق الذي سلكه الى أن وصل إلى القلعة ، ولكن أغلب الظن أنه انتقل عبر البحر الى بجاية ، ثم من هذه المدينة انتقل الى قلعة بني حماد ودرس بها عل أبي مروان الحمداني[17] ، وتشير بعض المصادر أنه درس بنفس المدينة على أبي عبد الله المازري[18] وفي رواية أخرى أنه درس رواية المازري ، ويقول ابن الأبار في (تكملته) لم يلتقيا وإنما تراسلا ، وبعد المدة التي قضاها بقلعة بني حماد اتجه إلى بجاية ودرس بها على أبي محمد المقرئ[19] . وبعد مدة من الزمن عاد إلى الأندلس واستقر بدانية وتفرغ للتدريس والفتوى بها لمدة عشرين سنة ، ونال شهرة في الأوساط المثقفة ، ولقد نوه به القاضي عياضي السبتي ، وتوفي أحمد بدانية في 7 جمادى الأول من عام 532/يناير 1138م . عن عمر يناهز 76 سنة ، واذا نحن خصمنا العشرين سنة الأخيرة التي قضاها بوطنه ، فإننا نستطيع القول بأن أحمد غادر بجاية سنة 1118/512م . والذي يهمنا هنا هو وجود هذا العالم كدارس ومدرس في الوقت نفسه بمدينتين من أكبر مدن المغرب الأوسط في ذلك العصر ، وهو دليل واضح على أن أهل المغرب الأوسط تأثروا أكثر من غيرهم بالأندلسيين .

ومن علماء شرق الأندلس الذين انتقلوا في عصر ملوك الطوائف إلى مدن المغرب الأوسط ، محمد بن أصبغ بن أبي الدوس ، المكنى أبا بكر[20] الذي ولد بمرسية حوالي عام 450هـ ودرس بها ، ثم انتقل الى اشبيلية وعيّن مدرساً لأبناء المعتمد محمد بن عباد ، منهم الراضي ومأمون الفتح ، وبعد مدة من الزمن لا نستطع تحديدها انتقل الى المرية واتصل بالأمير الصمادحي ومدحه بعدة قصائد ، وهذه المعلومات رغم قلتها فإنها توحي لنا بأن الرجل كان له ضلع في الأدب والشعر لايستهان بهما ، ومما نستنتجه من تنقله من اشبيلية الى المرية هو أن الرجل عندما شعر بأن المعتمد مستهدف من طرف المرابطين ، وأن أيامه قربت ذهب الى المرية ، ومن هنا تلتزم المصادر الصمت تاركة فجوة في تاريخه مظلمة ، ثم تفاجؤنا بوجوده بأغمات دون ذكر السبب . لكن أقرب الاحتمالات هو أن وجوده هناك زيارة المعتمد وأبنائه الذين كانوا بالأمس القريب تلميذين له وبعد وجوده بأغمات ينتقل مترجموا حياته إلى وجوده بتلمسان ، لكنهم يلتزمون الصمت حول نشاطه بتلك المدينة ، والغرض من زيارته لها ؛ ورغم هذا الغموض فاننا نضع احتمالين اثنين :

أولهما أنه كان ينوي زيارة صديقه ونديمه الأمير الصَّمَادَحِي بمدينة تَدْلَس ولم يستطع لسبب مادي أو سياسي أو كليهما معاً ، وثانيهما ، أنه قام بزيارته ولكنها كانت زيارة قصيرة لذلك لم يعرها مترجموا حياته أدنى اهتمام ، ويبدو أن محمد بن أصبغ لم يعد الى وطنه الأندلس بعد افتراق الجماعة ، فإنه ظل يجول في المغربين الأقصى والأوسط الى أن جاء أجله بمدينة مراكش سنة 1117/511م ، وفي نهاية عصر ملوك الطوائف وبداية عصر المرابطين نزل المغرب الأسوط عالم من علماء الأندلس وبالتحديد مدينة بجاية عاصمة المغرب الأوسط السياسية والثقافية في ذلك العصر ، لكن هذا العالم لم يأت مباشرة من الأندلس بل ذهب أولاً الى المشرق الإسلامي حيث أدى فريضة الحج وأخذ العلم عن أكبر مشايخ المشرق ، ثم قدم الاسكندرية ومن هذه المدينة دخل بجاية ، فهذا العالم يدعى محمد بن الحسين بن محمد بن سعيد يكنى أبا عبد اللّه ، ويعرف بإبن الفرس[21] الذي ولد بدانية في 21 من شهر رمضان من عام 16/472 ماي 1080م ، ووجود ابن الفرس ببجاية هو اكمال معارفه العلمية على شيوخ ذاع صيتهم مثل أبي محمد عبد اللّه بن محمد بن الحسين المقرئي[22] ، وحسب إختصاص هذا العالم فإن ابن الفرس درس عليه علم القراءات وبعض علوم الحديث ، والغرض الثاني هو المشاركة في الحلقات العلمية والأدبية التي تقام بعاصمة الحماديين عصرئذ ، حيث كانت جالية كبرى من الأندلسيين .

ومن رجال الأندلس الذين ذاع صيتهم وكانت لهم مكانة علمية محترمة في الأوساط الثقافية ، محمد بن أحمد بن علبد الجليل بن عبد الله يكنى أبا العباس[23] ، وأبا جعفر ، وأما عن تاريخ

ولادته فلم نعثر عنها ، ولكن يبدو أنه ولد في النصف الأخير من القرن الخامس هجري بمدينة تدمير ، وهذه المدينة التي تقع غرب مرسيه قد اندثر رسمها ، بهذه المدينة يزاول دراسته على عدة علماء وأغلبهم من شرق الأندلس ، البلاغة والفقه والنحو والشعر بجميع أغراضه . ويذكر ابن الأبار في معجمه ، أن أحمد درس على الصَّدَفي بمُرسيه سنة 510 وبرز في علم النحو والبلاغة والشعر وألف فيهما . وبعد مدة لا نعلمها سافر الى بجاية وربط علاقة ودية بوزير حمادي واهدى له كتاباً من تأليفه في نقد الشعر عنوانه : «نظم القرطين وذم أشعار الساقطين» ودرس ببجاية مدة من الزمن لم تحددها المصادر ، ثم انتقل الى مراكش ودرس بها أيضاً ، وله من التآليف غير الذي ذكرنها ، مثل : «التوطئة» في النحو ، وكتاب آخر عنوانه «أبيات الجمل للزجاجي» المعنون «صفاء الصدور» ، ولقد انتهى من تأليف هذا الكتاب الأخير عام 1143/538م ، ولا نعلم أين ألفه ، وأغلب الضن أنه ألفه ببجاية أو مدينة أخرى غير مراكش ، لأن مراكش في هذا التاريخ كانت في حالة اللاستقرار بسبب ثورة ابن تومرت وذهاب المرابطين ، ولقد بقي أحمد يتجول بين مدن المغرب حتى توفي بفاس سنة 1160/555م ، هذه نماذج حية قدمناها كأدلة على التبادل الثقافي الذي كان بين المغرب الأوسط والأندلس ، ولو تتبعنا الرحلات التي قام بها علماء الأندلس الى المغرب الأوسط وأسهموا مساهمة فعالة لخرجنا بكتاب ضخم يؤدي بنا للخروج على عنوان بحثنا هذا ، مع العلم أن هذا الحضور المكثف للعلماء الأندلسيين بالمغرب الأوسط بقى مستمراً الى عصور متأخرة ، مروراً بالذين ذكرناهم الى وجود عبد الحق الاشبيلي المعروف بابن الخراط صاحب الأحكام الكبرى والصغرى الذين أللفهما ببجاية والذين لم يكتب لهما أن نشرا على يد أبناء المغرب الأوسط ، بل نشرهما الأندلسيون المسيحيون في نهاية 1989م .

الرحلات التي قام بها أهل المغرب الأوسط الى الأندلس في عصر الطوائف

بعد أن ذكرنا في بحثنا هذا بعض علماء الأندلس الذين قدموا المغرب الأوسط وأسهموا اسهاما فعالا في المجال الثقافي ، نريد أن نأتي ببعض علماء المغرب الأوسط الذين ذهبوا الى الأندلس كاملى العدة وأسهموا بقسط لا بأس به في الثقافة الأندلسية ، من بين هؤلاء . حسن بن محمد ابن سلمون المسيلي المكنى بابي علي ، ولد بمسيلة غير أننا لم نعثر على تاريخ ولادته ولا تاريخ سفره الى الأندلس ، ومن المحتمل أنه ولد في بداية النصف الأخيير من القرن الرابع هجري ، وبذلك يمكن أن يكون سافر مع أغلب مثقفي المسيلة وعلى رأسهم أمير الزاب ، ابن

حمدون [25] والذي يهمنا هنا هو أن حسين أكمل دراسته بقرطبة وعين فيما بعد في خطة الشورى بقرطبة نظراً لغزارة علمه وفصاحته ، ولقد أشار ابن الأبار في تكملته أن المسيلي شغل منصب الشورى مرتين بعد الفتنة بقليل ، واغفل المدة التي قضاها في هذا المنصب ، أما عن ثقافته ورجاحة عقله فقد نوه ابن الأبار بها ، وقال أنه من المتواضعين رغم المناصب التي تقلدها . وكما أشار أغلب مترجموا حياته على أنه بقي بقرطبة حتى أن وافته المنية بها سنة 1040/431م ، ودفن بمقبرة العباس بأرباض قرطبة ، وصلى عليه قاضي القضاة أحمد بن ذكوان [26] . وهناك عالم آخر من نفس المدينة يدعى عبد اللّه بن حمو يكنى أبا محمد [27] وحسب ابن بشكوال في صلته ، أنه ولد بمسيلة لكنه لم يشر الى تاريخ الولادة ، واكتفى بالتنويه بثقافته ومكانته العلمية ، حيث يقول : «أنه قدم المرية واستوطنها وتفرغ للتدريس بها في مادة الأصول طوال حياته حتى توفي بها سنة 1080/473م ، ثم يضيف نفس المؤلف قائلاً بأن عبد اللّه المسيلي كان بسبتة وتقلد بها منصب القضاء مدة زمنية ثم فر منها الى المرية ، وبهذا نستطيع أن نقول أنه خرج من المغرب الأوسط الى سبتة ومنها الى المرية .

وهناك عالم ثالث من مسيلة يدعى أحمد بن عبد السلام بن عبد المالك ابن موسى الغافقي يكنى أبا العباس [28] هذا العالم لا نعلم أي شيء عن تاريخ ولادته ولا دراسته ، ومن الممكن أنه قدم الأندلس واستقر بمدينة غافق ، فنسب إليها ، ولقد أشار ابن الأبار بأن أحمد كان من أكبر مثقفي زمانه حيث يذكر أنه شغل منصب مدرس ومن الذين تتلمذوا عليه ابن خير صاحب الفهرست ، كما يذكر نفس المؤلف بأن أحمد سافر الى المشرق بهدف أداء فريضة الحج وفي عودته نزل الاسكندرية والتقى بها بعدة علماء من بينهم أبا عبد اللّه محمد بن أبي السعادات الخرساني [29] الذي ودعه بقصيدة شعرية من مناء الاسكندرية عند ماقرر المسيلي العودة الى الأندلس .

وفي نفس الفترة تذكر بعض المصادر بأن هناك عالم آخر من المسيلة قدم الأندلس وتقلد بها مناصب هامة ، وهذا العالم اسمه الكامل أحمد بن خلوف المسيلي يكنى أبا العباس ، ويعرف بالخياط [30] ، إذا فالرحالة ولد بمسيلة حوالي سنة 335 أو 9466/336م - 947م ، ورغم أننا لا نعلم شيئاً عن حياته الأولى ودراسته ، لكن حسب ما نملكه من معلومات جاد بها رجال الثقافة الأندلسيون ، فان أحمد الخياط كان من الفقهاء النزهاء ، وكان على مذهب مالك بن أنس (رضي اللّه عنه) كما كان متواضعاً وشجاعاً . ولقد نزل الثغر الأعلى مجاهداً في سبيل الله والدفاع عن المسلمين ، ولكن مترجمي حياته أغفلوا المكان الذي كان يرابط فيه بالثغر الأعلى ودائما حسب المصادر فإنه تحول الى قرطبة وتفرغ للعلم طوال حياته حتى أن توفي ليلة الثلاثاء 3 جمادى الأول من عام 393/ماي 1003م . وعمره 56 سنة ، ودفن بمقبرة الربض بحضور قاضي قضاة الأندلس أحمد بن ذكوان .

وهناك عالم آخر جاء الأندلس من مسيلة وهذا العالم هو أحمد بن حبيب المسيلي[31] ويخبرنا مؤرخو حياته على أنه دخل الأندلس قبل الفتنة مرفوقاً بأفراد عائلته ، واستقر بالثغر الأعلى بغية الجهاد ، حيث كانت المعارك لا تتوقف بين المسلمين والمسيحيين ، ولقد نوه ابن الأبار بثقافته وزهده وورعه وصبره في الثغر الأعلى حتى وفاته سنة 1009/400م ، هذا ما أشارت له المصادر الأندلسية في حق هذا العالم المجاهد .

ثم تذكر ابن هذا الأخير الذي يدعى عبد الرحمان بن أحمد ويكنى أبا حبيب المولود بالمحمدية - مسيلة حاليا - دون أن تذكر تاريخ ولادته ، و تضيف المصادر بأن عبد الرحمن قدم رفقة عائلته وبها درس وخالط المثقفين من أبناء جيله وبرز في الشعر والنثر معا ، كما كان متقدماً في علوم الفقه ، لكنه برز في الشعر أكثر من غيره ، ورغم ذلك لم يجعله مهمته للتكسب أو للتقرب من الملوك والأمراء ، ما عدا أنه قبل هدية من عبد الجبار المهدي أيام الفتنة ، وأغفل ابن الأبار نوع الهدية والمناسبة ، كما التزمت الصمت كل المصادر التي في حوزتنا تاريخ وفاته ، ومن المرجح أنه قتل في الفتنة التي أصابت قرطبة .

قبل أن أختم ذكر مشاركة المسيليين في الثقافة الأندلسية ، أود أن أختمها برجل نوه بعلمه مورخو الفكر الأندلسي الأوائل واللواحق ، ونوه بأعماله أيضاً المؤرخون المغاربة - الأقصى - وتناسوه أبناء وطنه لجهلهم برجالهم والدور الذي لعبوه ما وراء حدودهم ، فهذا العالم اسمه الكامل أحمد بن محمد بن سعيد ابن حرب المسيلي[32] يكنى بأبي العباس قدم الأندلس في أواخر عصر ملوك الطوائف وعايش عصر المرابطين ، وحسب المصادر فانه جاء الأندلس من أجل الدراسة بحيث يذكر ابن الأبار بأنه درس على عدة علماء أندلسيين من بينهم أبو داود[33] وأبو الحسن العيني[34] وأبو بكر الحزمي [35] وأبو عبد الله بن مزاحم[36] . وغيرهم ، ومما يؤكد احتملنا بل مساندتنا لرأي ابن الأبار بأن المسيلي قدم الأندلس من أجل الدراسة ، هو أن هؤلاء الأندلسيون الذين درس عنهم ، ودائما حسب رواية ابن الأبار فإن صاحبنا ترك اشبيلية . ويكذر ابن جيان في مقتبسه ، بأن ابن حرب كان من أكبر مثقفي عصره بحيث نصب للتدريس ، ومن بين الذين درسوا عليه أبو الحسن نجبة[37] وابن خير صاحب الفهرست ونال اجازة معه سنة 1144/539م ، وهي سنة وفاة ابن حرب ، وأشار ابن الأبار الى أن ابن حرب ألف كتابا في القراءات السبع عنوانه : «التقريب» وتوفى سنة 1145/539م .

علماء وهران ومساهمتهم في النشاط الثقافي بالأندلس

ومن علماء وهران الذين ذهبو الى الأندلس لأسباب نجهلها ، وكانت لهم مكانة مرموقة نوه بها أغلب مؤرخو الفكر والثقافة الأندلسية ، نجد عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر

الهمداني المكنى بأبي القاسم والمعروف بابن الخراز . فحسب ابن بشكوال في صلته ، والضبي في بغيته ، فانه من مدينة وهران واستقر ببجانة[38] ولد عبد الرحمن سنة 949/338 – 50م ، دون أن يحدد المكان الذي ولد به ، ومن المحتمل أنه ولد بوهران ، وذلك لعدم اشارتها الى مكان آخر . قدم الأندلس واستقر ببجانة ، كما مر معنا ، ولكن لم يتعرضا الى دراسته الأولى ، فابن بشكوال يخبرنابأن عبد الرحمن سافر الى المشرق الإسلامي من أجل اكمال دراسته ، وذكر لنا بعض فطاحل العلم المشارقة الذين تتلمذ عنهم عبد الرحمن ومن بينهم عمر بن شبويه الماروزي[39] وتمام ابن محمد القروي[40] وغيره ، ثم درس بالعراق عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن مالك بن محمد القطيعي[41] وغيره من علماء العراق ، ويضيف نفس المؤلف بأن عبد الرحمن عند عودته إلى بلاده درّس ، ومن الذين أخذوا عنه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد اللّه بن عبد البر[42] ويمضي ابن بشكوال قائلا بأنه طوال اقامته ببجانة كان يمتهن التدريس والتجارة معاً ، فكان يتردد على قرطبة فيبيع بها انتاجه ويلقي بها محاضراته ، وكانت الأسفار التي يقوم بها عبد الرحمن من بجانة الى قرطبة بانتظام بحيث يذهب الى قرطبة مرة في كل شهر يبيع فيها بضاعته ويشتري أخرى ، ويحمل معه كتبه لينقحها ويلقي محاضراته ويعود الى مقره . كما كان يقوم برحلات الى مدينة المرية المجاورة ويقيم بها أياماً ثم يعود إلى مقره ببجانة ، ولقد أشاد به تلميذه ابن عبد البر في كتابه[43] واشتشهد به في كل فصل ، وهكذا قضى حياته عبد الرحمن يمارس المهنتين حتى أن جاء أجله في شهر ربيع الأول من عام 411/ جوليت 1020م .

وفي نفس الفترة قدم الأندلس يحي بن عبد اللّه بن محمد المكنى بأبي بكر ، المعروف بالجماني الوهراني المولود بتاريخ 971/316م[44] ، واستقر باشبيلية ودرس بها عن أبي عمر بن حفص الهوزني[45] الشهيد الذي قتله المعتضد بن عباد ، وبعد أن أكمل دراسته بدأ يدرس مادة الحديث ، ومن تلامذته عمر بن الحسن الهوزني ابن الأول ، وبقي هناك حتى أن توفي سنة 1039/480م .

ونختم بحثنا أو بالأحرى هذه القائمة التي اختصرنا فيها أسماء بعض علماء المغرب الأوسط الذين شاركوا في النشاطات الثقافية ، وتقلدوا مناصب هامة بالأندلس في عصر ملوك الطوائف وقبله بقليل ، ومن بين هذه الشخصيات التي أرخ لها أشهر علماء الأودلس ، أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه المكنى بأبي الحسن والمعروف في الأوساط الأندلسية بالربعى ، وهو اسم قبيلته التي لازالت تعرف به الى الآن ، وبالبغائي نسبة الى بغاي مسقط رأسه والتي ولد بها سنة 956/345م ، ودرس بها المرحلة الابتدائية[46] ثم انتقل الى القروان التي أكمل بها تعليمه ، وبعد فترة من الزمن لا نستطيع تحديدها انتقل الى مصر حيث درس بها عن أساتذة اشتهر

ذكرهم . وحسب ابن باشكوال في صلته ، فإن أحمد التقى ببكر بن حماد الشاعر الزناتي ، ولم يحدد المكان ولا الزمن ، وأغلب ظننا أنه التقى ببكر بن حماد في القروان لا بمصر . أما عن ذهابه الى الأندلس فلم نعثر له على تاريخ محدد ، فحسب بعض المصادر أنه دخل الأندلس سنة 986/376م ، وهذا التاريخ يجعلنا نرجح أسباب ذهابه الى الأندلس بأنها كانت سياسية ، لأن الرجل كان على مذهب الامام مالك ، سني النزعة ، والذي كان معمولاً به سواء بمسقط رأسه أم بالقروان هو المذهب الاسماعيلي الشيعي ، وفيما يخص ثقافته فإن أغلب المصادر تقول أنه وصل الأندلس كامل العدة متفوقاً في علم القراءات والنحو والفقه والنقد ، فيقول فيه ابن بشكوال : (... كان من أهل الفضل والعلم والذكاء والفهم والحفظ وكان بحراً من العلوم ...) ونوه به القاضي عياضي السبتي ومن بين المناصب التي تقلدها أحمد ، منصب مدرس بالجامع المسجد الذي درس به علم القراءات ثم بعد فترة زمنية لم يحددها المؤرخون عينه المنصور بن أبي عامر مدرساً لأبنائه وخاصة منهم عبد الرحمن المعروف بـ «شانجول» ثم أقصاه عن التدريس لفترة وبعد ذهاب العامريين عينه هشام المؤيد في خطة الشورى خلفاً لأبي عمر الإشبيلي ، ثم تخلى عن الشورى بعد اشتداد الفتنة ، وبقي بقرطبة حتى توفي بها يوم الأحد 11 ذي القعدة عام 1011/401م ، وبذلك نستطيع القول بأن أحمد عاش 56 سنة قضي منها 25 عاماً بقرطبة ، وحسب تتبعنا لما جرى في الفتنة فإن صاحبنا قتل من طرف المتعصبين ولم تكن موته طبيعية بحيث أن أصحاب المغرب ، كانوا المستهدفين قبل غيرهم ، لأن أغلب الأندلسين المولودين يرون أن خطر قبيلة زناتة التي استولى رجالها على الجيش ستسلبهم امتيازاتهم ، ولقد ترك أحمد مؤلفات عديدة لم يذكر منها ابن بشكوال الا كتاباً واحداً في أحكام القرآن .

هذا جانب من جوانب التبادل الثقافي الذي عرفه المغرب الأوسط أثناء عهد ملوك الطوائف بالأندلس ، وعهد الحماديين بالمغرب الأوسط .

وهناك جوانب أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها ، ومن بينها أن بعض ملوك الطوائف كانوا من أصل جزائري (المغرب الأوسط) ومن بيوتات سجل لها التاريخ صفحات مشرفة ، سواء في المغرب العربي أم في الأندلس ، وهذه العائلة التي كانت لها مكانة بالأندلس هي عائلة زيري التي اقتطعت نصيبها من تركة الأندلس الإسلامية الأموية ، فمملكة غرناطة كانت تظم مالقة وشطراً من مملكة جيان وتأثرت بالمغرب الأوسط وأثرت فيه في الوقت نفسه . أما تأثرها فكان بارزاً في الأطعمة والألبسة والعلاقات الأسرية ، ونظام الجيش بأبناء عمومتهم الحماديين بالمغرب الأوسط ، والباديسيين بافريقية (تونس) ، ولعلى التأثير الحمادي كان أقوى بكثير من الباديسي ، خاصة في الهندسة المعمارية بحيث أن حبوساً لما بنى قصبة الحمراء وبعض الدور بحي

البيّاين والأسوار المحيطة به وبعض الحمامات الواقعة بداخله والتي لازالت تحمل اسم الزيريين الى يومنا هذا ، لقد بنى هذه القلاع على نمط مشابه للقصور والقلاع والأسوار التي بناها أبناء عمومته ، مثل قلعة بني حماد وأشير وبجاية[47] واذا كانت تلك التحف المعمارية التي أقامها ملوك الزيريين بغرناطة وضواحيها قد درست بفعل الإنسان والزمان ، فان بعض الزخارف منها لازالت واقفة مثل ما أشرت إليه آنفاً ، والبعض الآخر محفوظاً بمتحف الحمراء بغرناطة ، وهذه البقايا الفنية التي يعود تاريخها الى الزيريين لها ما يميزها عن غيرها ، فهي تعتمد على كتابات بخط كوفي قديم وتستعمل الزخارف وصور الحيوانات خاصة منها الغزلان ، مستمدة خيالها من موطن أجداد ملوكها ، وما أحدثه بنو الأحمر فهو مغاير لذلك تماما ؛ لقد هدموا أو حطموا جزءاً كبيراً من تلك الزخارف ووضعوا مكانها زخارف وكتابات أخرى مستمدة جذورها من تلك التي كانت قائمة بقطربة أيام عزها ولكن لم ينسبوها الى أهلها ، أو بالأحرى الى مبدعيها ، بل إلى مايزعمون من أنهم محدثون وعريقون في الوقت نفسه ، فهم يدعون بأنهم من سلالة الصحبي سعد بن عبادة (رضي الله عنه) ، لكن ما بقي في سقوف قصورهم وبالأخص في سقف قصر الأسود يبدو نمطاً آخر من الزخارف والأوان مستمدا جذوره من النقوش الموجودة في زرابي وفخار زناتية فلا هي صنهاجية زيرية ولا أندلسية أموية[48] ولعلى أن جالية هذه القبيلة تكاثر عددها في أواخر أيام بن الأحمر .

نعود الآن الى البيت الزيري ، وبالضبط ملوك غرناطة الطائفية ، أن هذه العائلة التي في نظري يجب أن يفتخر بها كل جزائري - رغم تصرف بعض ملوكها الذين سمحوا لبعض العناصر غير العربية تبرز في تلك الفترة - استطاعت أن تقيم ثلاث ممالك مستقلة في فترة زمنية واحدة ، الأولى بتونس ومؤسسها بولغين بن زيري ، وأبنائه من بعده ، والثانية أسسها حماد بن زيري بقلعته بعد انفصاله عن افريقية - تونس - ثم أسلافه ببجاية ، والمملكة الثالثة أقامها زاوي ابن زيري وترأسها ابن أخيه حبوس بن يطوفن بغرناطة بعد افتراق الجماعة[49] اذا فمن الطبيعي أن تكون علاقة متينة تربط بين أفراد الأسرة الواحدة الذين هم في الوقت نفسه ملوك الممالك الثلاثة السالفة الذكر .

أما التأثير الأندلسي في مجتمع المغرب الأوسط فهو أكثر وضوحاً ، لأن المجتمع الأندلسي كان أكثر تحضراً من المغرب الأوسط ، فمن البديهي أن يتأثر أهل المغرب الأوسط بعدة مقومات حضارية - ان صح التعبير لقد تأثروا في ترتيب أثاث منازلهم ولباسهم ، وفي الآداب العامة ، وفي ميدان الزراعة ، وأما المجال الثقافي فإنه طغى عليه الطابع الأندلسي سواء في الشعر الصوفي أم الشعر الغنائي مثل الموشحات وإحيا النوادي الثقافية التي كانت تحييها الطبقات المثقفة ،

والنكت التي كان العلماء يزينون بها مجالسهم العلمية على الطريقة الأندلسية ، فهذا الأستاذ الجليل عبد الحق الإشبيلي صاحب الأحكام الصغرى والكبرى ، عندما كان في مجلس علمي بالجامع الأعظم ببجاية ، أتته خادمة بيته تطلب منه النقود الكافية لشراء ما أمرت به زوجته من خضر وفواكه ولحم ، فأعطاها ضعف ما طلبت ، فقالت له : «هذا يفوق حاجات المنزل يا سيدي» فرد عليها - رحمه الله - بنكتة أضحكت المجلس ، قائلاً : «حتى لا يقال شيخ مسن واشبيلي شحيح»[50] .

ولقد نسج بعض الشعراء الجزائريين أشعارهم على منوال الشعراء الأندلسيين في وصف قصورهم ومنتزهاتهم .

كما كانت معالم التبادل الثقافي واضحة في الأراء والفتاوى وطرق التدريس والاجازات العلمية ، وقل في كل ما يتعلق بأنماط الحضارة ، كما كانت وضاحة أيضاً في الفنون الجميلة ، برمتها ، فإذا كانت الموسيقى الأندلسية بعد مجيء زرياب الذي وضع لها مدرسة بقرطبة ، فانها بدأت شيئا فشيئا تا خذ خصائصها من البيئة الأندلسية ، وتبتعد شيئاً فشيئاً عن الموسيقى الشرقية سواء في ألفاظها أم في كلماتها وايقاعها ، ثم تفرعت عنها فنون أخرى ذات طابع شعبي في الموسيقى والغناء والرقص والتصفيق المرافق للغناء فالفلامنكو Flaminco الموجود الآن باسبانيا ، هو في الواقع نتاج ثقافة أندلسية عربية إسلامية ، فكلمة التشجيع التي يطلقها المغني أو الراقص والراقصة أو الجمهور (أولي ، أولى) هي عربية أعرابية ، تعني «هلمَّ هلمَّ» بنا الى الرقص والغناء والطرب ، هذه الفنون انتقلت من الأندلس الى المغرب عن طريق المحبين للطرب والنكت والفنون ، مثل ابن اللبانة ومحمد ابن لبّ الشاعرين الموشاحين السالفين الذكر ؛ وجاء بعدهم أبو الحسن علي الششترى الزجال[51]، الذي كان في الوقت نفسه عازفاً على العود وقد أقام مدة من الزمن بتلمسان وبجاية ، وبما أن هذا الرجل جاء لرؤية أبي مدين شعيب الإشبيلي المقيم ببجاية فإنه وجد شيخ الصوفية بدون منازع في ذلك العصر ، عبد الحق ابن سبعين المرسي ببجاية[52] فمال إليه الششتري وترك المدينة ، ولقد غنى إزجاله ورافقها بأنغام قيثارته بلهجة تلمسانية وبجائية ، وكان يتبع تلك الأهازيج برقصات بهلوانية في الساحات العامة ، وبذلك كان تأثيره في هذا الميدان قويا بحيث تعدى صداه الطبقة المثقفة والثرية التي كانت تحيي حفلاتها وتقيم أفراحها ، وتلقى بقصائدها في النوادي الخاصة بها ، إلى جميع شرائح المجتمع فقلده الفنانون وغير الفنانين ، وحتى الأطفال قلدوه في أهازيجه ورقصاته . وكان أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي نزيل تلمسان[53] من العلماء الأجلاء في عصره الذين تقلدوا مناصب القضاء بوطنه ، وبعد مجيئه تلمسان أصبح من أكبر زهادها ومتصوفيها ، وكان يشرف على بعض الحلقات العلمية

وعندما ينتهي من أعماله يركب خشبة - كأنها جواد ويركض في الشوارع ، فيتجمع حوله الأولاد في الساحات والشوارع ويقلدونه في ركضه وشطحاته وهو يبتسم ويفرق عليهم الحلوى ، فأحبوه الأولاد وأطلقوا عليه سدي الحلوي الاشبيلي ، ومن أثار الرجل مسجد بتلمسان مازال قائما ويعرف باسمه ، وبناؤه على الطراز المعماري الأندلسي .

فهذه نبذة عن التأثير والتأثر أردنا أن نشير إليها قبل تناولها كعصر من عصور الحضارة بالمغرب الإسلامي ، لأن هذه الفترة الأخيرة تعتبر خارجة عن الاطار الزمني الذي حددناه لبحثنا هذا ويمكن أن نحاسب عليها من طرف القراء ، فلهذا الغرض أشرنا إليها اشارة خفيفة وتركنا الغوص فيها لبحث لاحق .

ومما يثبت التبادل الثقافي بين المغرب الأوسط والأندلس ، بالاضافة إلى ما ذكرناه آنفاً ، فإن الخط العربي ينقسم الى ثمانية أنواع ، أو بالأحرى الى ثمانية خطوط ، تختلف في شكلها - الكوفي ، الثلث المتداخل ، الرقع ، النسخ ، الفارسي ، الريحاني ، الديواني القديم والجديد - فإن الأندلس ظلت من - فتحها الى نهاية الحكم الإسلامي - تعتني بالكوفي أكثر من غيره من الخطوط ، وقد طور الأندلسيون هذا النوع من الخطوط ، بحيث أن المختص في هذا الفن يستطيع أن يحدد المراحل التي مر بها تطور الخط الكوفي بالأندلس وبذلك يستطيع أن يحدد تاريخ بناء الجدار الذي توجد عليه الكتابة ، ومايقال في البناء يقال في الكتابة التي كانت تكتب على العملة أو على أواني الخزف والفخار[54] ، ولقد تفرع عن الخط الكوفي نموذج تاسع يطلق عليه الى يومنا هذا بالخط المغربي ، وهذا النموذج يستعمل في التدريس بالكتاتيب وفي كتابة الرسائل والعقود والتأليف بصفة عامة ، ما عدا العناوين فأغلبها في مؤلفات الأندلسين والمغاربة بخط كوفي بخلاف المشرق الإسلامي حيث يميلون المشارقة الى الثلث المتداخل ، وفي التعليم والمراسلة والتأليف يميلون الى الفارسي والديواني ، ولربما أننا نستطيع أن ميز اليوم بين الطلبة الجزائريين الذين درسوا في الكتاتيب القرآنية وفي المرحلة الابتدائية على أساتذة جزائريين ، وبين الذين زاولوا دراستهم الابتدائية على أساتذة مشارقة .

هوامش

(1) أنظر ابن ذكوان في : Belkacem Drardja, Interaccion Cultural Lunigracion de Magribies à al Andalusey Andalusein-al Maghrib al Ausat. 1 PP. 550-554

(2) أنظر ابن بشكوال ، الصفحة ، ج II، صفحة . 558 .

(3) أنظر : «Interaccion Ciltural» ج ، II551 .

(4) نفس المصدر ، ج II، صفحة ، 671 .

(5) أنظر المقري ، نفح الطيب ، ج . 4 ، صفحة 343 ، بلقاسم درارجة ، التفاعل الثقافي ، ج . II675 .

(6) نفس المصدر .
(7) أنظر عائلة الطبنى في التفاعل الثقافي ، ج . 1 ، صفطة ، 198 . 236 .
(8) حول أبي مروان البوني ، أنظر عائلة البوني في في عملنا ، التفاعل الثقافي . ج . I .
(9) حول أحمد خُصَيْن الأنصاري ، أنظر المصدر السابق ، ج 2 ، صفحة ، 553 .
(10) نفس المرجع ، ج . 2 . صفحة ، 769 .
(11) الأصبهاني ، خريدة القصر – قسم علماء المغرب – صفحة . 181 .
(12) نفس المصدر ، صفحجة . 182 ؛ نويهض عادل ، أعلام صفحة . 335 .
(13) أنظر الغبريني ، عنوان ، الدراية ، طبعة الجزائر صفحة ، 76 .
(14) أنظر بلقاسم درارجة ، التفاعل الثقافي «Interaccion»، ج . 2 . صفحة 801 .
(15) نفس المرجع ، والمقري نفح الطيب ، ج . 2 . صصفحة ، 63 .
(16) بلقاسم درارجة ، «Interaccion»ج ، 2 . 777 .
(17) أنظر هامش ، 38 .
(18) أنظر العبدري ، الرحلة البدرية طبعة المغرب ، صفحة ، 237 .
(19) أنظر ابن الأبار ، المعجم ، صفحة ، 404 .
(20) بلقاسم درارجة ، التفاعل الثقافي «Interaccion»ج . II، صفحة .
(21) حول ابن غلام الفرس أنظر المرجع السابق ، ج . 2 . صفحة . 784 .
(22) أنظر هامش ، 19 من هذا البحث .
(23) نفس المرجع ، ج . 2 . صفحة . 809 .
(24) Emilio Molina Lopez Ibn al Jarrat de Sevilla Mesclena Universidad de Granada 1991 .
(25) أنظر بلقاسم درارجة ، «Interaccion»ج ، 1 . باب الصراع بين زناتة والعبيدين .
(26) عن الى هامش 1 من هذا البحث .
(27) أنظر بلقاسم درارجة . التفاعل الثقافي «Interaccion»ج . 1 . صفحة ، 240 .
(28) نفس المرجع ، ج ، 1 ، صفحة ، 241 .
(29) أنظر ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة .
(30) بلقاسم درارجة التفاعل الثقافي «Interaccion»ج ، 1 . صفحة ، 239 .
(31) نفس المرجع . ج . 1 . صفحة ، 242 .
(32) نفس المرجع .
(33) ابن الفرض تاريخ رجال الأندلس ، صفحة ، 18 ؛ الضبي ، بغية ، صفحة . 217 .
(34) لم نعثر له على أي ترجمة .
(35) الكتاني فهرس الفهارس ، ج . 1 . صفحة ، 552 .
(36) ابن الجزري ، غاية النهاية ، ج . 2 . صفحة ، 277 .
(37) نفس المصدر ، صفحة ، 334 .
(38) ابن بشكوال ، الصلة ، صفحة . 426 ؛ بلقاسم درارجة «Interaccion»، ج . I، 426 .
(39) لم نعثر له على ترجمة كاملة .
(40) أنظر هامش 19 من هذا البحث .
(41) الهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج . 2 . صفحة ، 346 .
(42) أنظر المقري ، نفح الطيب ، ج . 5 . صفحة ، 172 .
(43) نفس المجع .
(44) هامش ، 37 .
(45) أبو عمر الهوزني .
(46) أنظر بالقاسم درارجة . التفاعل ، ج . 1 . صفحة 291 .
(47) أنظر نشأة دولة بني حماد . ج 1 . 69 – 120 .

(48) دراسة ميدانية .
(49) أنظر بلقاسم درارجة ، «Interaccion»، ج . 1 . صفحة . 90 – 100 .
(50) أنظر بلقاسم درارجة . .
(51) نفس المرجع . صفحة . 193 – 232 .
(52) نفس المرجع ، صفحة . 127 – 237 .
(53) أنظر بلقاسم درارجة «Interaccion»ج ، 2 . صفحة ، 633 .
(54) نفس المرجع ، ج ، I، صفحة ، 182 .